بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

نقرأ في القرآن الكريم (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ)[2]**، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)**[3]**، وغيرهما من الآيات، الإنسان إذا قرأ القرآن بتدبر يعرف بشكل واضح أن الله يريد أن يُقيم كل إنسان على قدميه، وأن القرآن يدعو ويهدي ويبين الطريق لأن يقوم الإنسان على قدميه ويؤدي دوره كخليفة في هذه الأرض، هذا هدف القرآن الكريم وهدف الأنبياء كلهم، القرآن بشكل واضح يدعوني أنا للقيام بالقسط ولأن أمشي سوياً على صراطٍ مستقيم وأعرف سبيل الله وأجاهد في هذا السبيل بنفسي وبمالي، القرآن يخاطبنا ويدعونا إلى هذا**

قبل كل شيء يجب أن ينتبه الإنسان ويعي أن عليه دوراً في الحياة، كل إنسان بَلَغ وأصبح مكلَّفاً، وهذا صعب جداً حسب فهمي فهذه الخطوة –خطوة الانتباه والوعي وأن الإنسان يشعر بأن عليه مسؤولية ورسالة في هذه الحياة– هي من أصعب الخطوات التي يجب أن يخطوها الإنسان المؤمن للقيام برسالته في هذا الكون، لأن الشيطان وظيفته أن يخذل الإنسان، فيأتيه ويقول لا تفكر هذا عمل شاق، لا تفكر لا تهتم أنت لست بحاجة لأن تفكّر في مسؤوليتك ورسالتك، فكِّر فقط في هذه الحياة التي أنت تعيشها! دع الغريزة هي التي تنظّم حياتك! (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا)[4]**، وأئمة الكفر كذلك يريدون أن يسلبوا الإنسان هذا النوع من التفكير: أن للمرء دورا في هذه الحياة، وأنك لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور إلا بأن تتمسّك بربك**

تسمعون بأن هناك دراسات وتجارب ميدانية كثيرة هائلة يقوم بها أئمة الكفر ويصرفون عليها مبالغ طائلة، تلك الدراسات كلها موجهة إلينا، هذه الوسائل الشيطانية الماكرة الخبيثة التي ملأت العالم كله هدفها أن تقول لي ولك أن رسالتك هي أن تسعى، تخطط وتبرمج، تدرس ثم بعد ذلك تتوظف ثم بعد ذلك تبحث عن مجالات

---

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله في يوم الجمعة بتاريخ ٢٩ شوال ١٤١٥هـ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) (سبأ: ٤٦)

(٣) (المائدة: ٨)

(٤) (الفرقان: ٢٩)

أخرى، ليتوسع ويتنوع طعامك أكثر وملابسك تتكشّخ أكثر وحياتك تصبح أكثر راحة، كل الوسائل المتطورة وكل الدراسات تُستخدم لأجل هذا: حتى لا تفكر أنت كمؤمن أن لك دورا في هذه الحياة

هذه هي رسالة إمامة الكفر دائما، وعلى هذا الأساس كان القتال بين رسول الله (ص) وبين أئمة الكفر، فهؤلاء كانوا يريدون أن يكون التركيز على الشهوات، ورسول الله (ص) كان يريد أن يحرّر العباد ليقوم كل امرئ بدوره، بلال استجاب لرسول الله (ص) وتحرّر، أصبح ذلك العبد الصالح الذي كان يقاتل في سبيل الله، في سبيل المستضعفين وفي سبيلنا كذلك، يعني بلال الآن صوته يجلجل في أذني، كأنه يقول: قاتلت لأن تكون أنت بحيث تجد السبيل إلى الله، انتبه! أنت كذلك عليك دور، عليك رسالة. أما أبو جهل مثلاً لم يستجب حتى موته، هذه هي المسألة

إذن دعوة الله، دعوة جميع الأنبياء (ع)، دعوة الأئمة (ع) كلهم، دعوة الإمام الحسين (ع) موجهة إليك شخصياً، أنه قم بدورك، عليك دور ولك رسالة، انتبه أن الإمامة الكافرة تُلهيك عن هذا الدور وتوحي لك بأن لا تفكر خارج هذه الحدود. هذه الخطوة الأولى وهي صعبة جداً، الآن إذا اجتزت هذه الخطوة فهنا من الممكن أن ينفعك الحديث، أما إذا لم تجتز هذه الخطوة فالكلام حتى لو كان صالحا بدل أن يهديك سوف يضرك، حتى القرآن الذي أُنزل نورا فالقرآن يتحول إلى ضلال! ممكن أن القرآن يُضِل؟ (يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[1]، اتلُ القرآن لتعرف الدرب إلى الله لتعرف رسالتك ودورك، هنا القرآن يهديك، أما إذا قرأت القرآن بنفسٍ منصبغةٍ بصبغة خارج دعوة القرآن الكريم من دون تدبر فبالتدريج تتعود على قراءته، ينقل أن شخصا كان يتسحر في شهر رمضان ولا يصوم قيل له بأنه أنت لا تصلي ولا تصوم لماذا تتسحر؟ قال أنا لا أصوم ولا أصلي، إذا لا أتسحر فبالمرّة أكون كافرا! هنا مثلا إذا لا يتسحر هذا –على أقل التقادير– قد يشعر بالتقصير وأنه ما أدى أي دور، أما هذا يقرأ القرآن يصلي، لكن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، يقرأ القرآن لكن القرآن لا يهديه، يجب أن تنتبه لهذا الشيء

هذه الخطوة تستطيع أن تجتازها، إذا اجتزتها تتحرر، أتمنى وأود أن أبذل روحي حتى تستطيع أن تخطو هذه الخطوة (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ)[2]، الإنسان يقوم لله –وهذا ليس سهلا– ثم إذا قمت

---

[1] (النحل:٩٣)

[2] (سبأ: ٤٦)

لله فالطريق يتضح أمامك (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[1]، إذا نحن لا نفعل هذا الشيء وأصبحنا أذلة متخاذلون فالله تبارك وتعالى سوف يبعث أناسا يرثون الأرض (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[2]، هؤلاء سوف يأتون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[3]

هنالك من يقوم بدوره، يعي هذا الدور ويقوم به، هؤلاء ليسوا ملائكة، هؤلاء أمثالنا نحن، بلال (رض) لم يكن من الملائكة، عثمان بن مظعون (رض) لم يكن من الملائكة، مصعب بن عمير (رض) لم يكن من الملائكة، يُنقل أنه كان فتى مكة، كان شابا جميلا، كان أكثر الشباب ترفاً، أمُّه ثرية جداً –وأبوه كذلك– فكانت تُغدق عليه بالمال وبأحسن الملابس وأجملها، وكان أكثر الناس عطرا فكان يُعرف أن مصعبا مرّ بهذا الطريق من رائحة عطره

كل العالم في ذلك الحين، اليهود والنصارى والمشركون، كل أئمة الكفر بذيولهم كانوا يقولون ويوحون بطرق مختلفة لمصعب: عليك أن ترتاح، الحياة جيدة، الملابس جميلة، الطعام لذيذ، من يملك مثلك؟ اشكر ربك! هؤلاء كانوا إذا يقال لهم من خلق السماوات والأرض؟ كانوا –مثل الآن– يقولون الله، كانوا يشكرون الله، كانوا يدعون الله، وعلى هذا الأساس يقال مثلا أن أبا جهل أو غيره في غزوة بدر قال اللهم اقتل أقطعَنا للرحم – يقصدون رسول الله (ص)–، يقولون "اللهم" يعني كانوا يدعون الله! ومصعب بن عمير كان كذلك يطوف حول البيت، هذا هو دين على أي حال! وهنالك في مكة أناس تركوا عبادة الأصنام وكانوا يعبدون الله تبارك وتعالى، فعبادة الأصنام لم تكن مفروضة على كل إنسان من قِبل الكفر، هذا كان موجودا، هذه الحالة المريحة جدا، يمشي والناس يتباهون به، مشية معينة طريقة معينة، الإنسان يتمزّق حينما يجد مؤمنا يمشي بطريقة كفرية، هذه المشية أنا حينما أذكرها ليست هي كل شيء، هذه ثمرة من ثمار الشجرة الخبيثة التي حطمت هذا الإنسان المؤمن الذي المفروض أن يكون أملا ونوراً في الطريق، تواضَع (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن

---

[1] (العنكبوت: ٦٩)

[2] (الأنبياء: ١٠٥)

[3] (المائدة: ٥٤)

تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)[1]، محمد بن مسلم (رض) كان إنساناً ثريا وكان معروفا، حينما ارتبط بالإمام الباقر (ع) قال له الإمام: تواضَع، فماذا فعل؟ (أخذ قوصرة من تمر مع الميزان وجلس على باب مسجد الجامع، وجعل ينادى عليه، فاتاه قومه فقالوا له فضحتنا، فقال أن مولاي أمرني بأمر فلن أخالفه ولن أبرح حتى أفرغ من بيع باقي هذه القوصرة، فقال له قومه: إذا أبيت ألا لتشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحانين! فهيأ رحى وجملا وجعل يطحن)[2]

فمصعب (رض) كان الوضع من حوله يوحي له أن عليك أن ترتاح، البس هذه الملابس واشكر ربك، هذا البيت مَن يملك مثله؟ هذه الأم الحنونة مَن عنده مثلها؟ بطبيعة الحال هنالك في ذلك الوضع لو كان مصعب يراجع ورقة بن نوفل مثلا أو أحبار اليهود –المتدينين الذين يدّعون الدين– إلى ماذا سيدعونه؟ هل يقولون له أن هذا الوضع جيد أم غير جيد؟ أحبار اليهود أو رهبان النصارى أو كبار متديني المجوس وكل من في ذلك العالم –حتى الراهب المترهب في الصحراء– كان يقول إن هذه الملابس ليس فيها أي إشكال لكن ربما من الجيد أن الإنسان يتركها

لا أحد كان يفكر أن هذا الوضع يعني ماذا؟! هذا الوضع يعني تدهور الإنسان الذي خلقه الله تبارك وتعالى خليفة في الأرض، مصعب ليس هذا محلّه، مصعب ذلك الإنسان الذي يتلو القرآن الكريم وتلاوته غيّرت مسار سعد بن معاذ حينما بعثه رسول الله (ص) إلى المدينة[3]، هذا دوره، يرفع راية في غزوة أُحد في مقابل راية المشركين: لا إله إلا الله، أيها الناس إن العالم كلّه في ضلال. حسب المقاييس الظاهرية ماذا حصل لمصعب؟ يُقال بأنه حينما أسلم وتغيَّر سلبته أمّه كل وسائل الحياة المريحة، فدمعت عين رسول الله (ص)، هذه حالة عاطفية موجودة في الإنسان، مثلا حتى الإمام الحسين (ع) حينما قدّم ابنه علي الأكبر ليُقتل حتى يفتح الطريق أمامي وأمامك، لكي أنت تبصر دربك وأنا أبصر دربي، لكي يُبيّن لي –بِقيمَة دماء أهل البيت (ع)– بعد هذه القرون الطويلة: انتبه لا تغفل، عليك كذلك دور، كان بإمكان علي الأكبر أن يعيش معززا، كان جميلا، كان ابن رسول الله (ص)، قُتل وقدّم نفسه الزكية وجاهد في سبيل الله بنفسه حتى أنت تتحرر وتبصر أن هذا الدرب هو درب أمير المؤمنين (ع)، (...فخفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون... فأقبل إليه ابنه

---

[1] (الإسراء: ٥٧)

[2] رجال الكشي ص٣٨٨

[3] سيرة ابن هشام ج٢ ص٥٢

علي بن الحسين فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني إني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، –ذلك الشاب الذي يملك مقومات الحياة المكرمة المعززة قال– ألسنا على الحق؟ قال: بلى والله الذي مرجع العباد إليه، فقال: فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين)[1]. الإمام الحسين (ع) بكى حينما قُتل ابنه علي الأكبر، ولكن المشكلة أنه حينما يُطرح هذا الشيء يطرح أن هذه هي الرسالة! فأصبح البكاء فقط هو الرسالة! البكاء قضية غريزية فالعين تدمع لكن ماذا كان مُحكم رسالة الإمام الحسين (ع)؟ لم يكن محكم رسالته بكاءه على علي الأكبر، بل كان محكم عمله وأصل رسالته هذا الذي فعلته زينب (ع)، يُنقل لها ذلك الموقف العظيم حينما بكت على جسد الإمام الحسين (ع) ثم بعد ذلك حملته وقالت اللهم تقبل هذا القربان من آل محمد (ص)، هذه هي رسالة أهل البيت (ع)

حينما أُخِذ كل شيء من مصعب، وكان عليه ساتر عورة من جُلِّ بعير، أصبح مصعبا آخر، ليس مصعبا الذي كان أعلى هدفه البيت الأفخم واللباس الأنعم والطعام الأفضل وإنما أصبحت له رسالة، يحمل راية، مصعب ما كان ملَكاً بل كان مثلي ومثلك، إذا عرفت هذا وأردت هذا فقد خطوت الخطوة العظمى في هذا الطريق لتؤدي دورك، فتلتحق بقافلة المجاهدين في سبيل الله الذين سوف يرثون الأرض ويجسّدون فيها عدل الله تبارك وتعالى. إذا انتبهت سوف تَجِد هذا وتشعر به، الآن لا تشعر لأنك مرتاح، مصعب في البداية ما كان يشعر أنه كم من الوسائل الجهنمية وكم من كيد الشيطان يَنسِج حوله قيوداً لكيلا يتحرر، الآن لا تشعر أمّا بمجرد أن تحركت وعرفت هذا الشيء –أنني أنا يجب أن أقوم بدوري– فهنالك تجد وتشعر بثقل المسألة، حتى رسول الله (ص): (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا)[2]، هنالك تشعر بثقل المسألة وكم هو ثقيل، لكن تشعر بعز، ذلك الشعور بالعز يمُدّك بالقوة لتحّمل هذا الدرب ومشاكل هذا الدرب

أدعوك لتبدأ، في أي عمر كنت، أنت بحركتك تتغير (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)[3]، ابدأ من الآن، ابدأ بأن تربط نفسك مع هؤلاء القوم تكن منهم، لا تكتفي بأن تكون في ذيلهم قرر أن تكون إمامهم (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[4]، هنالك تشعر أن رغم هذه

---

(١) تاريخ الطبري (٤٠٧/٥)

(٢) (المزّمل: ٥)

(٣) (الرعد: ١١)

(٤) (الفرقان: ٧٤)

المكائد الشيطانية ورغم هذا الثقل العظيم الذي لا يستطيع الإنسان أن يتخيل أنه بإمكانه أن ينجو منها! فتجد (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[1]

مصعب قبل أن يتغير هل كان يستطيع أن يفكر أن هذه الحياة –التي يفتقدها أناس كثيرون ويتحسرون عليها– يستطيع أن ينجو منها؟ أنت قرَّر (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ)[2]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)[3]، جرِّب سوف تجد أن كل هذه الأشياء التي كنت تتصورها عظيمة تصبح تافهة وتراها لهواً (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على إن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك)[4] تصبح هكذا بجِدّ. دعنا نسلك هذا الدرب، البيوت والأموال والوسائل المتطورة التي تستهدف إراحة حياتك هي في حقيقتها تستهدف خذلانك، تستهدف أن تجعلك لا تفكر، كلّ هذه الوسائل أوجدوها حتى الدين يشّوه ويمهَّد ليُطرح كدين يجعلك لا تفكر في حريتك، فقط فكّر في راحتك، حتى إذا أردت أن تفكر أكثر ففكر في راحة مجتمعك وراحة إخوانك! وإذا كل هذه الوسائل المتطورة الساحرة التي تسحر أناسا، أفواجاً، أقواماً لقرون كلها تنكسر في نفسك، والحمد لله رب العالمين

---

(١) (النساء: ٧٦)

(٢) (سبأ: ٤٦)

(٣) (المائدة: ٨)

(٤) سيرة ابن هشام ج١ ص٢٨٧